

أضواء البيان

@ 103 . كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على حفظ القرآن . فأرشدته الله في هذه الآية إلى ما ينبغي . فنهاء عن العجلة بقراءة القرآن مع جبريل ، بل أمره أن ينصت لقراءة جبريل حتى ينتهي ، ثم يقرؤه هو بعد ذلك ، فإن الله ييسر له حفظه . وهذا المعنى المشار إليه في هذه الآية أوضحه الله في غير هذا الموضع . كقوله في (القيامة) : { لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَذَّلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ نَاهُ فَاَتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } وقال البخاري في صحيحه : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا أبو عوانة قال : حدثنا موسى بن أبي عائشة قال : حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : { لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَذَّلَ بِهِ } قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما . وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه . فأنزل الله تعالى : { لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَذَّلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ } قال : جمعه لك في صدرك ، ونقرأه { فَإِذَا قَرَأَهُ نَاهُ فَاَتَّبِعْ قُرْءَانَهُ } قال : فاستمع له وأنصت { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } ثم علينا أن نقرأه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع . فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه الله . قوله تعالى : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَدَسْنِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } . قوله : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ } أي أوصيناه ألا يقرب تلك الشجرة . وهذا العهد إلى آدم الذي أجمله هنا بينه في غير هذا الموضع ، كقوله في سورة (البقرة) : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } فقوله : { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } هو عهده إلى آدم المذكور هنا . وقوله في (الأعراف) : { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } . . .

وقوله تعالى : { فَنَدَسْنِي } فيه للعلماء وجهان معروفان : أحدهما أن المراد بالنسيان

الترك ، فلا ينافي كون الترك عمداً . والعرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً ،
ومنه قوله تعالى : { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتََهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنْسَى } فالمراد في هذه الآية : الترك قصداً . وكقوله تعالى : {
فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا